

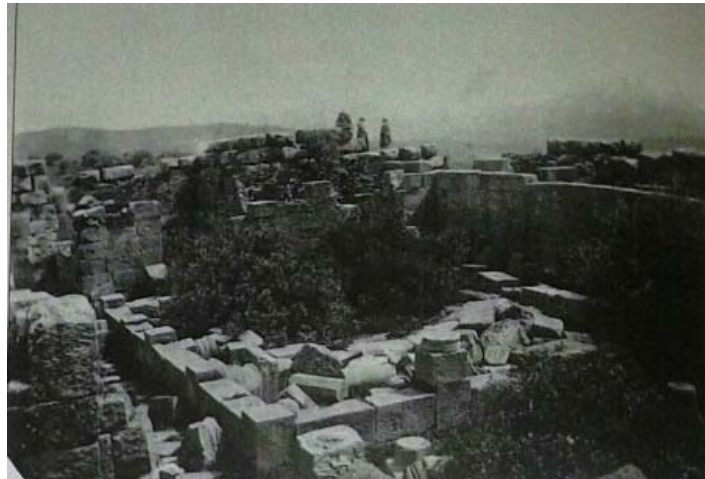
قصر كاوة بين ابحاث الماضي و استراتيجية حمايته اليوم

أ.د./ محمد المصطفى فيلاح معهد الآثار - جامعة الجزائر 2.

د./ محمد عرباوي - قسم التاريخ و الآثار - جامعة سطيف 2.

تناولت هذه الدراسة إمكانية الوصول إلى تفاصيل "قصر كاوة"، و محاولة ترميم بنياته و بعض عناصره الفنية، و تحويله إلى فضاء أثري يمكن للجمهور زيارته و التمتع بمناظره، و بما أن معظم الناس يعتقدون أن الآثار ليست سوى مواضيع ندرسها و نبحث فيها ثم نهجرها بمجرد إتمامها، من الواجب علينا نحن كمختصين أن نغيرها اهتماما و نعطيه أهمية بترميمها و المحافظة عليها و إعادة الاعتبار لها، كما ينبغي إدراك هذا المعلم في مجمله بهدف تحديد الوظائف و العلاقات التي تربط مختلف أجزائه و إدماجها في مجالها ، و جاء اكتشاف الآثار التي تعود إلى الفترة الرومانية ليزيد من اتساع البحث، و تؤدي بنا هذه الاكتشافات ،إلى اقتراح بحث يتناول تاريخ المنطقة في الفترة القديمة، و ستسعى إلى الكشف عما خلده آثار رجال الأمس في ثقافة رجال اليوم، و ستنتهي مهمة الباحث الأثري، عندما يتمكن الجمهور من زيارة الموقع، هذا بعد العمل الذي تدخل لأجله، بغية إعطائه شيئا من المظهر الذي كان عليه الموقع قديما. التعريف بالموقع :

قصر كاوة، معلم أثري يوجد ببلدية الولجة و يبعد بإحدى عشرة كيلومترا شمال شرق مدينة عمي موسى بغليزان، مساحته الاجمالية تبلغ حوالي 7550 متر مربع، بنيفوق هضبة وتحيط به سلاسل جبلية تعتبر بمثابة حماية طبيعية، يحده من الشمال ارض جرداء منحدره ومجرى مائي، اما باقي الجهات بها اراضي زراعية منبسطة، ويعد هذا المعلم من أهم المواقع الأثرية الرومانية بمنطقة عمي موسى ،شواهد لا زالت قائمة حتى يومنا هذا.

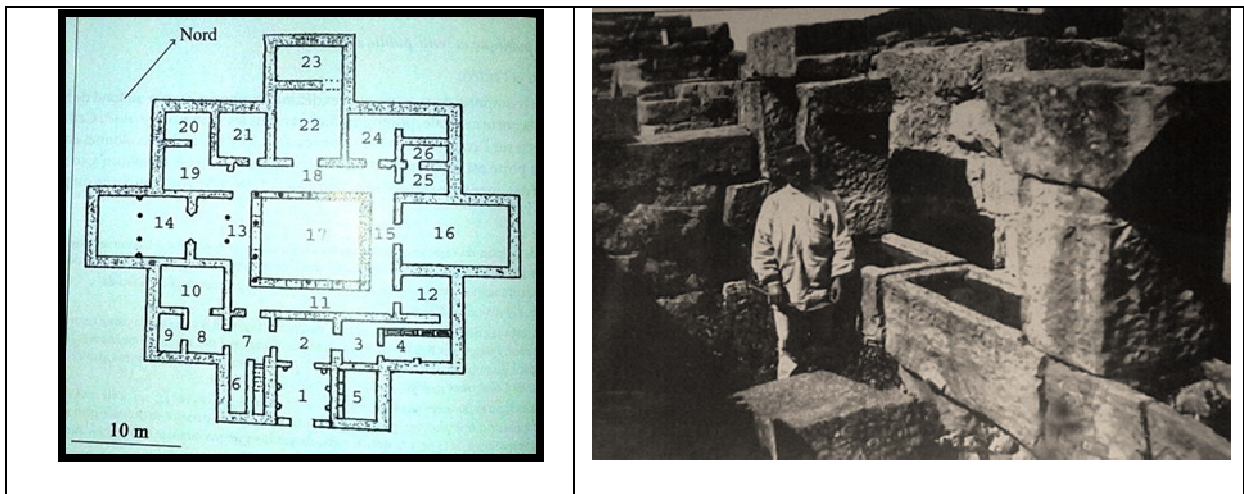


• الابحاث و الاعمال التي اجريت على مستوى الموقع:

❖ يعتبر الكابتان مارشان أول باحث فرنسي اكتشف هذا المعلم سنة 1859 , وهو واحد من 103 موقع اثري يرجع الى الفترة الرومانية , وأعطى وصفا دقيقا لموقع كاوا KAOUA الذي يبعد عن عمي موسى بحوالي 14 كم ، ويبدو ان السيد مارشان كان شديد التأثر بجماله الخلاب لما يتوفر عليه من أشجار الزيتون وادوية الدائمة الجريان وكذا المسلك المؤدي إلى الهضبة التي يوجد عليها القصر.

❖ وحسب نفس الباحث يحد القصر من الشمال قمة القلعة 969 مترا وتيغاردتيت التي تغطيها أشجار الزيتون والبلوط والسرو. وتعرف على الشكل الخارجي لكاوة، ومكنته الأشغال الأولى من اكتشاف مدخل المبنى وبابي المدخل وعلى البابين الجانبين الواقعين بينهما ، ثم العثور على قناة صرف المياه ليليلها المدخل الوحيد لهذا القصر , وفي الأخير تركزت الأشغال على الجزء الداخلي للقصر ليتم التوصل إلى أرضية مبلطة مع ترك كل الأسوار القائمة مع بعض الأعمدة وكما لاحظ الباحث أثار حريق منتشرة في كل أرجاء القصر.

❖ كما زار قصر كاوة ايضا السيد لابلاشار في 15 جوان 1882 يؤكد أن كل الوثائق المتعلقة بالآثار الرومانية محفوظة بمكتب بلدية عمي موسى المختلطة ، كما قام هو الآخر بأعمال حفر في الموقع ، و قال انه عبارة عن مسكن بداخله فناء بأسفله خزانان كبيران يتسرب منهما فائض الخزان المائي عبر قنوات تخترق البهو , كما اشار الى وجود سلالمتؤدي إلى طابق علوي , يصف بدقة وضعية الإسطبل المشكل من غرفتين ضيقتين لا يتسعان لأكثر من 6 أو 7 أحصنة ويصل في وصفه للمبنى الذي يشبه وصف مارشال إلى انه قصر عرف تغييرات بسيطة لأغراض دفاعية.



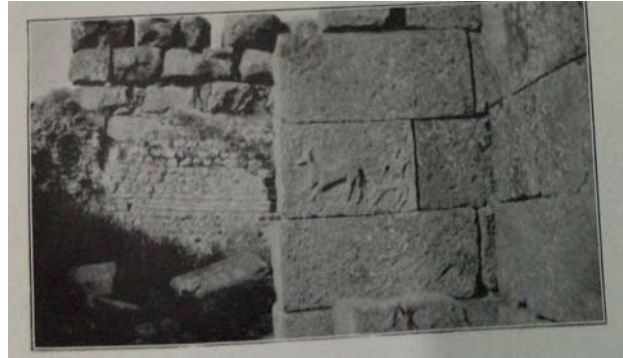
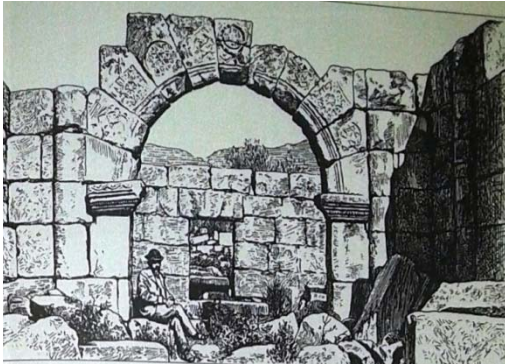
• نتائج الابحاث بالموقع الاثري كاوة:

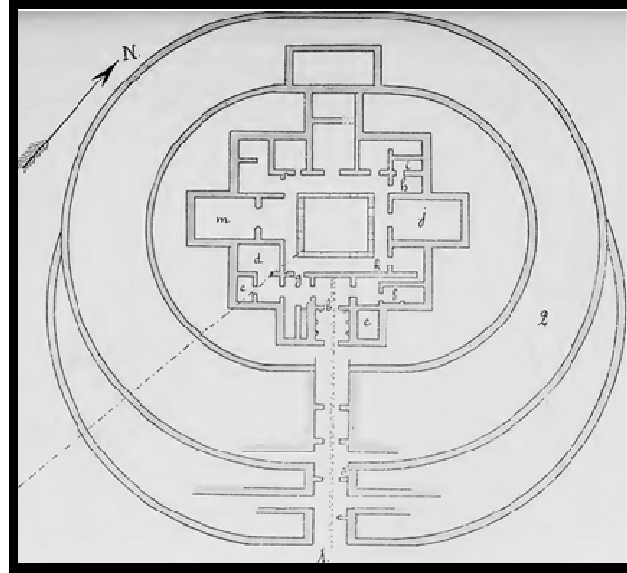
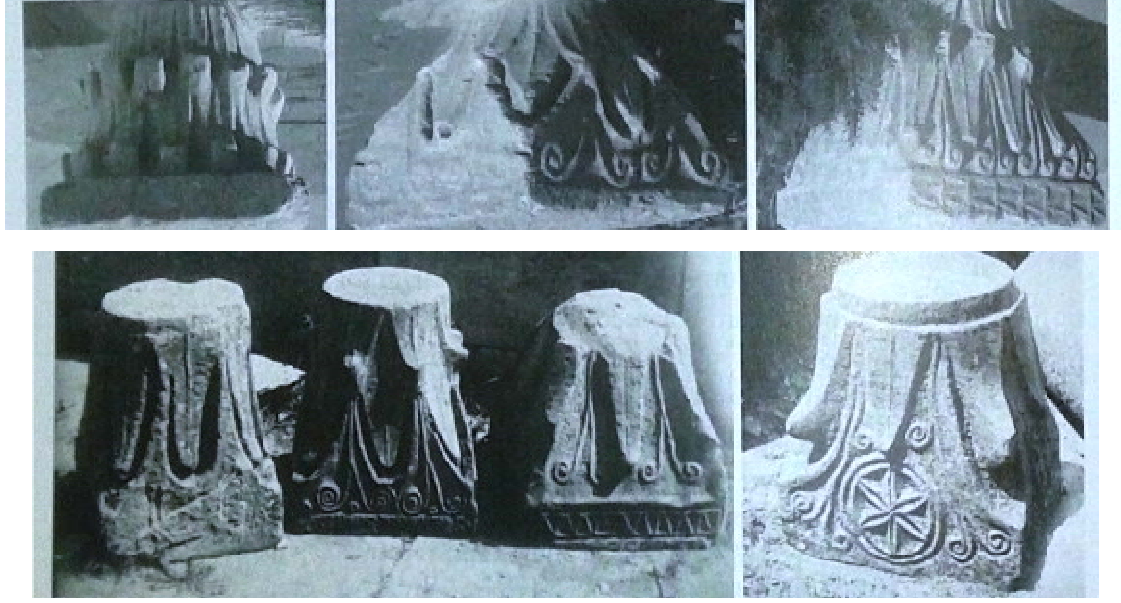
❖ وحسب لابلا نشار يمكن تحديد تاريخ معلم كاوة بناءا على عدة معطيات وشواهد لخصها الباحث في : صلاحية نظام الأسوار ، والنمط الإجمالي للبناءية لكن الأشغال المنجزة مهمة تنقصها الدقة ، بناء الصروح الداخلية تم بمواد بناء جلبت من جهات أخرى مثل قبة احد الصهريجين التي بنيت بسيقان الأعمدة ، كما أن قواعد وتيجان الأعمدة، كلها من طراز القرن الرابع ويدعم هذا الطرح الزخرفة المتناثرة هنا وهناك ومنها مفتاح قوس الباب الذي يحمل شكل حمامة،طيور،حيوانات ويحمل احد الأبواب مشهدا كاملا لعملية صيد : رجل مسلح بسهم يسبقه كلب يطارد غزالة ، ونفس الأشكال توجد بالمدخل الرئيسي ،أحجار مزخرفة متناثرة هنا وهناك .

❖ وفي أعمال الحفر سجل لابلا نشار الكتابة التي تعلو الباب الرئيسي: SPES-IN-DEO-FERINI-AMEN وهو ما يذهب بالباحث إلى الاعتقاد أن القصر ينتمي لحقبة تيوديستينين TEODOSTINNE وان FERNUS غير معروف والمؤكد حسب الباحث أن فيرنوس هو احد كبار أعيان الإقليم ،وقال أن كاو، من أجمل القصور الموجودة بهذا الإقليم والتي احصاها مارشان في 103 موقعا اثريا تحمل نفس الوصفات وتنتمي لنفس الحقبة.

• الاستراتيجية المتبعة لحماية المعلم من الاندثار:

يجب أن يشكل منذ المرحلة الأولى للدراسة فريق عمل من ضبط، يكون على حسب نمط و نوع التدخل سواء كان بطريقة مباشرة او غير مباشرة ، مثلما هو الحال في الكشف الأولي للموقع و أيضا في تحضير برنامج التحقيق، و منه فإن دراسة المعطيات و المعلومات في المرحلة الأولى تكون بطريقة تقريبية لكي يسمح بعمل مخطط نشاطات للتدخل على البناء،و قد قام فريق البحث بعملية مسح أثري شاملة للموقع و ذلك بالتنقل على الأقدام و الرؤية بالعين المجردة، قصد التعرف على محيط الموقع، وتشخيص عوامل التلف على مستوى فضاءات المعلم ،و بعد ذلك وضع مخطط العمل حسب الظروف و الامكانيات المتاحة لنا.





بعض الصور و المخططات التي انجزت بالموقع من طرف الباحثين الفرنسيين

• الدراسة الوصفية و التاريخية لموقع البناية و محيطها :

ان الاسم الذي اطلق على هذه البناية في بادئ الامر من طرف الباحثين الذين اشتغلوا بالموقع (قصر كاوة) ، و يرى البروفيسور محمد المصطفى فيلاح ان ذات البناية تعود لشخص غني و ذو جاه وسلطة في مجتمعه من جهة و من جهة اخرى موقعه الاستراتيجي فوق التلة يفسر ان الذين قاموا بتشييد هذه البناية شرعوا بتسوية المكان على شكل طاولة او ما يسمى بتسوية سفح الجبل لغرض البناء على مستوى واحد ، بالإضافة الى التحصينات التي تمثلت في الاسوار الدفاعية التي تحيط بالبناية اين تأخذ شكلها البيضوي او الشبه دائري و تمركزها بين الجبال ما يعطيها الطابع الدفاعي أو استعملت كبناية

للمراقبة، و تتميز البناية بطابع مدني تحمل مجموعة من الرموز و الدلالات التي ترمز الى الديانة المسيحية، وذهب ذات البروفسور الى تأريخ البناية معتمدا في ذلك قطعة نقدية عثر عليها اثناء عملية تنظيف الموقع والتي تعود الى بداية القرن الرابع و هو نفسه التأريخ الذي اكده الدكتور دوربان مصطفى من خلال القطع الفخارية التي تنتمي الى نمطالسيجيلي الفاتح الصناعي "د" (او ما يعرف بالفخار السيجيلي الافريقي) .

● مواد و تقنيات البناء المستعملة:

❖ تكشف مواد و تقنيات البناء في العمارة عن الظروف الطبيعية لمجتمع معين، و من خلال ذلك نتعرف عن المستوى الاجتماعي لصاحب المعلم و يظهر كذلك مستواه الفكري، و تطوره الحضاري، و مدى تفاعله مع الحضارات الأخرى.

❖ الحجارة :

استعملت الحجارة بمختلف أنواعها كمادة أساسية في البناء سواء كانت مصقولة او منحوتة ونجد منها الحجر الكلسي و الرخام الذي استعمل في بعض القواعد و الاعمدة على مستوي البناية.

❖ فخاريات البناء: (الأجر و القرميد) :

استعملت هذه المادة في الجدران الداخلية للبناية و بعض الفضاءات الأخرى. الملاط الجيري: عبارة عن مادة للربط يستغل في بناء الجدران.. يمكنه الربط بين الأجر المشوي أو المجفف. و استعملت هذه الطريقة في بناء معظم الجدران الداخلية لفضاءات البناية. تمثلت التقنيات المستعملة في بناء اسوار و جدران هذه البناية في تقنية النظام الكبير والتقنية الممزوجة باستعمال الاجر المشوي.

❖ تقنية النظام الكبير: تتمثل في تركيب حجارة منحوتة على شكل صفوف أفقية، و تعتبر هذه التقنية من أهم التقنيات التي تُظهر بناية ما. أي الشكل وحده يسمح بالافتتاح أن المبنى قانوني أي خاضع لكل المقاسات المعمارية، و مُشكلا توازنا في العناصر و محققا تجانسا في حصر الصفوف الأفقية و العمودية للبناية.

❖ التقنية الممزوجة باستعمال الاجر المشوي: استعملت هذه التقنية في بناء الجدران الداخلية للبناية وهي عبارة عن مزج و استعمال أكثر من مادة بناء بالجدار الواحد، وجدت أشكال متنوعة للبناء بهذه التقنية في العالم الروماني، و يعتمد على مساحات من الحصى ليُشكل ألواح، و أجزاء مبنية من الأجر المشوي تحيط به.

وما سجلناه ميدانيا هو الجمع بين التقنيتين في الجدران الداخلية للبنية ليصل سمكها في بعض الاحيان الى 92 و 95 سم وتعتبر بذلك تقنية فريدة من نوعها الغرض من استعمالها هو التحسين فقط و هذا عكس ما اعتدناه في بعض المباني القديمة اين تستعمل الاسوار الغليظة الغرض منها التحضير لإضافة طابق او طابقين للبنية .

● التشخيص الميداني لعوامل التلف بالموقع:

من خلال فحصنا بالعين المجردة للموقع، استطعنا أن نحدد بعض العوامل التي تساهم في إتلاف المعلم و إدراجها في مجموعتين (العوامل الطبيعية، العوامل البشرية).

❖ عوامل طبيعية ذات مؤثرات مفاجئة وجذرية (كالزلازل و الامطار و الحريق ..)، و عوامل طبيعية ذات مؤثرات بطيئة و متراكمة (كالتغير في درجة الحرارة و الانجراف و نمو الحشائش و النباتات الطفيلية ...)

❖ عوامل بشرية ذات مؤثرات مفاجئة وجذرية (كالأعمال الارهابية والسرقة و التخريب و الحفر غير المرخص..) عوامل بشرية ذات مؤثرات بطيئة و متراكمة (البناء الفوضوي و الترميم الخاطئ و سوء الاستغلال..).

بعد محاولة إبراز مظاهر و أشكال التلف السائدة في المعلم، و تشخيص حالة الفضاءات ، و بعد التطرق إلى العوامل التي كان لها تأثيرا كبيرا في تلف و اندثار هذه البنية، حاولنا من خلال الأعمال التي قمنا ان نسترجع القيمة الجمالية التي يتسم بها الموقع و قمنا بمجموعة من الإجراءات و التدابير التي يمكن اتخاذها لتأهيل و ترميم الموقع.

● اعمال التنظيف:

مست اعمال التنظيف التي اجريناها بالمعلم ومحيطه كل من المدخل و البوابة الرئيسية و رواق المدخل الرئيسي بالإضافة بالنفناء والاسطبل والسلام الحبرية و الخزان المائي في نزع الأعشاب والأشجار الملتصقة بالجدران الخارجية للبنية، ثم تنظيف الأرضية من الأتربة وتمت العملية كمايلي:

- ❖ إزالة الأوراق بمقص الزرع من أجل تعرية الفروع تماما.
- ❖ فصل الجذور بقطعها من على وجه الأرض.
- ❖ قطع الأغصان بالمنشار.
- ❖ الإقتلاع، بواسطة ملعقة الصيدلي، لكل العناصر الملتصقة بالجدار و منها الأغصان و الفروع الصغيرة و الجذور الهوائية الدقيقة.
- ❖ استخراج الجذور من تحت الحجارة و القضاء على تلك التي تكون ما تزال محبوسة باستخدام مبيد مناسب.

• أعمال استعجالية :

في هذه المرحلة تم تحديد أماكن وطبيعة الأعمال الاستعجالية الواجب القيام بها لحماية الاجزاء المهمة في هذا المعلم والتي حددت كمرحلة اولى في:-

1- المدخل الرئيسي للقصر الذي فقد أحد الدعامتين اللتان تحملان قوسا مركبا، هذا القوس وبفعل ثقل الاجزاء المكونة له أصبح معرضا لخطر الانهيار لان ثقله غير موزع بشكل متساو.

2- غرفة الاسطبل ،التي تشوه شكلها بفعل الاتربة وحجر المقاطع الموجود بداخلها، إضافة الى السلالم الحجرية ،التي تراكمت عليها حجارة المقاطع.

3- أرضية أروقة الفناء الرئيسي التي فقدت جزءا كبيرا من بلاطها الحجري وظهرت بها فراغات كبيرة ،والتي أصبحت عرضة للعوامل الطبيعية خاصة مياه الأمطار التي ستجتمع في الفراغات وتتسرب تحت البلاطات المتبقية ما يساهم في انفصالها عن الحامل، وبالتالي إمكانية فقدانها.

4- المدخل الرئيسي الذي اكتشفنا بعد تنظيفه بلاطات حجرية عند الباب الرئيسي، وجزء من قناة صرف المياه من القصر، وتتمثل الأخطار التي يمكن ان يتعرض لها هذا الجزء فيما يلي:- بالنسبة للبلاطات الحجرية، لاحظنا ضياع عدد كبير منها مخلفة فراغات يمكن ان تساهم بفعل التساقط في اقتلاع البلاطات الثابتة، أما بالنسبة لقناة الصرف يمكن ان تتعرض للإتلاف لان حالة حفظها أصلا سيئة.

وبناء على ما سبق ذكره تم تحديد التدخلات الاستعجالية كما يلي:-

1- قطع كل الاشجار الموجودة داخل القصر وفي محيطه، والتي تشوه منظره ، وتخفي شكله العام.

2- المدخل الرئيسي للقصر، إعادة الدعامة المفقودة، من خلال اما ايجاد حجر المقاطع الاصلي أو حجر يشبهه أو إعادة بنائها بمواد انشائية تتميز بقدرتها على تحمل ثقل القوس من جهة وقابلة للإزالة في حالة العثور على أجزاء الدعامة الاصلية، وهذا ما تقرر القيام به.

3- أرضية أروقة الفناء الرئيسي:- ضرورة حماية الجزء المتبقي من قناة تصريف المياه الزائدة على الخزان المائي والتي هي عبارة عن خط من الملاط المائي موجودة في الرواق للفناء الرئيسي من خلال تغطيتها بطبقة من التربة الموجودة في المنطقة ، وملء الفراغات الناتجة عن اقتلاع البلاطات في الاروقة الاربعة للفناء بتربة طباشيرية TUF، واختيرت هذه المادة لانها تمنع نمو النباتات وتمنع الاحوال.

4- استخراج حجر المقاطع من الاسطبل، ومحاولة اعادة تهيئة هذه الغرفة، وإزالة حجر المقاطع من السلالم وتنظيفها.

• اعداد المخططات :

مخطط الموقع هو نوع متخصص من المخططات، وظيفته أن يُبين الطبيعة العامة لمبنى أو مجموعة من المباني، يظهر مخطط الموقع حدود منطقة البناء وطرق الوصول إليها، بالإضافة إلى الأبنية المجاورة إن كانت مرتبطة بالتصميم، و قد قام الفريق بإعداد مجموعة من الرسوم الأولية مع اخذ المقاسات لكل فضاءات البناية للحصول على المخطط النهائي الذي نعتمده لتسهيل مقروئية المعلم و محاولة قراءة و استنتاج بعض النقاط مجهولة الوظيفة في المعلم.

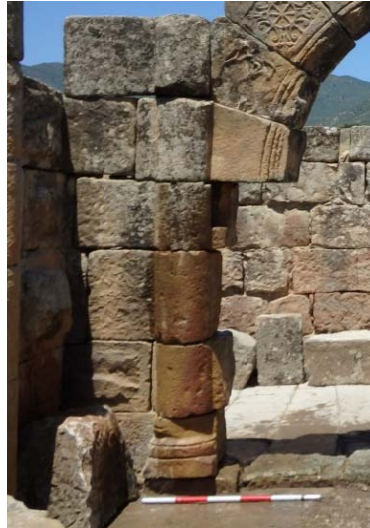
نتائج الاعمال :

خلصت أولى الحملات الميدانية بالموقع الاثري كاوة، إلى نتائج جد مرضية يمكنها أن تفتح سبلا هامة للأجيال القادمة المتخصصة في مجال البحث الأثري، لأن البناية ليست مجرد اسوار قائمة على مجموعة من التقنيات و مواد البناء ، بل هناك العديد من العناصر الزخرفية المتناثرة هنا و هناك تحمل العديد من الرموز و الدلالات على غرار تلك العناصر المعمارية التي استعملت في بناء و زخرفة البوابة الرئيسية للبناية، و اخرى تنتشر في أماكن مختلفة من الموقع،

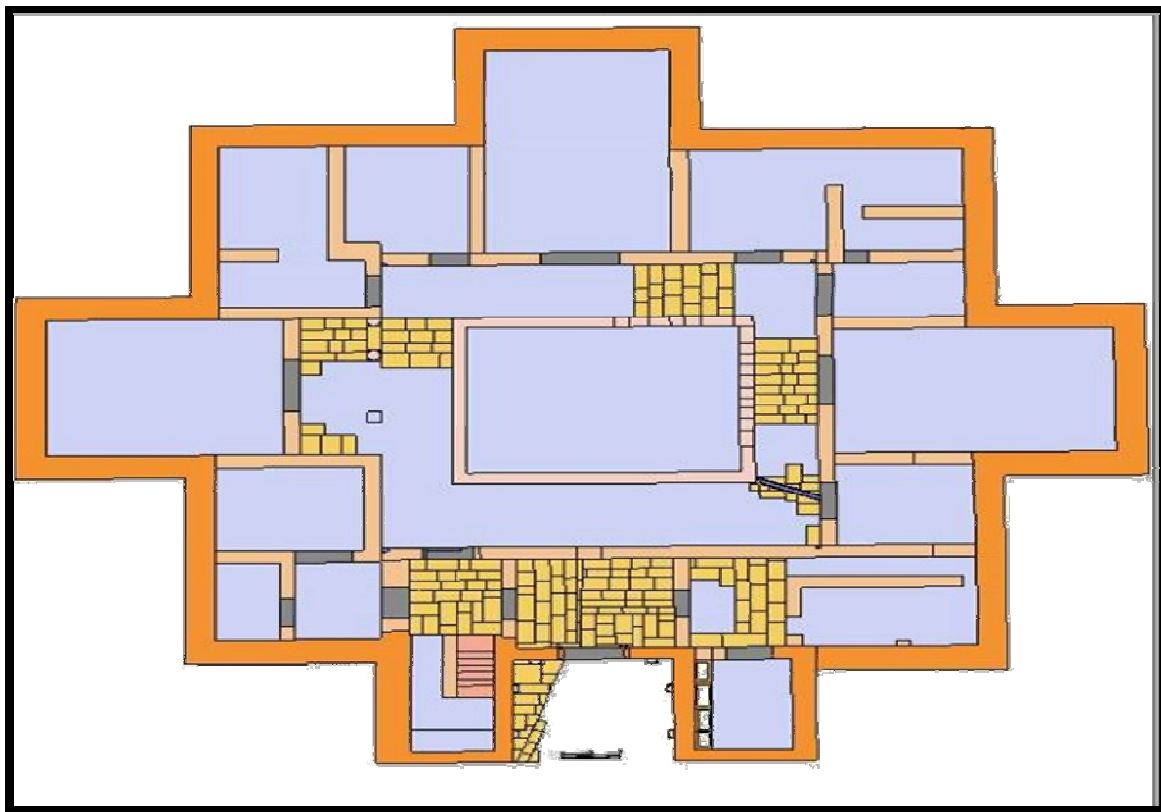
وكانت مهمتنا كباحثين في هذا المجال ،هو كشف الغطاء عن الوجه الحقيقي للبناية و تسهيل قراءتها من طرف الزوار المهتمين بالتراث من جهة و عامة الناس سواء كانوا محليين او اجانب من جهة اخرى و كل هذا يأتي بعد العمل الذي تدخلنا لأجله، بغية إعطائه شيئا من المظهر الذي كان عليه الموقع في القديم بإعادة مختلف عناصره المعمارية الى اماكنها الاصلية.



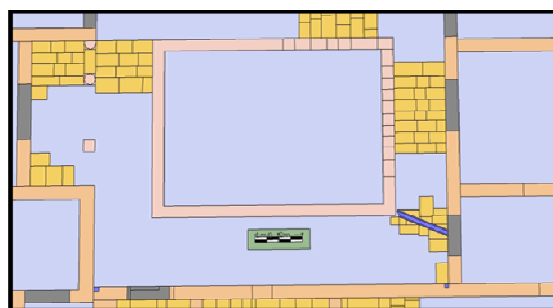
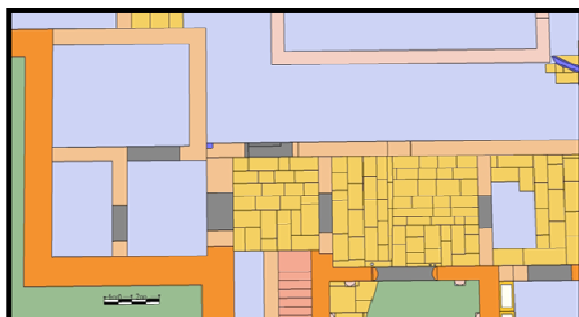
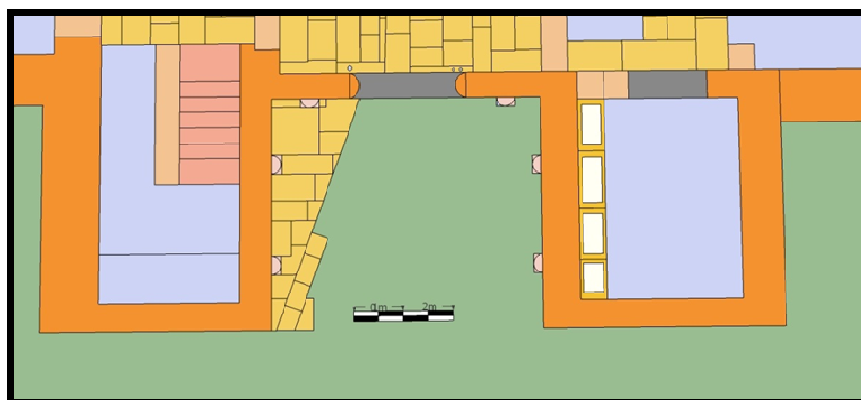
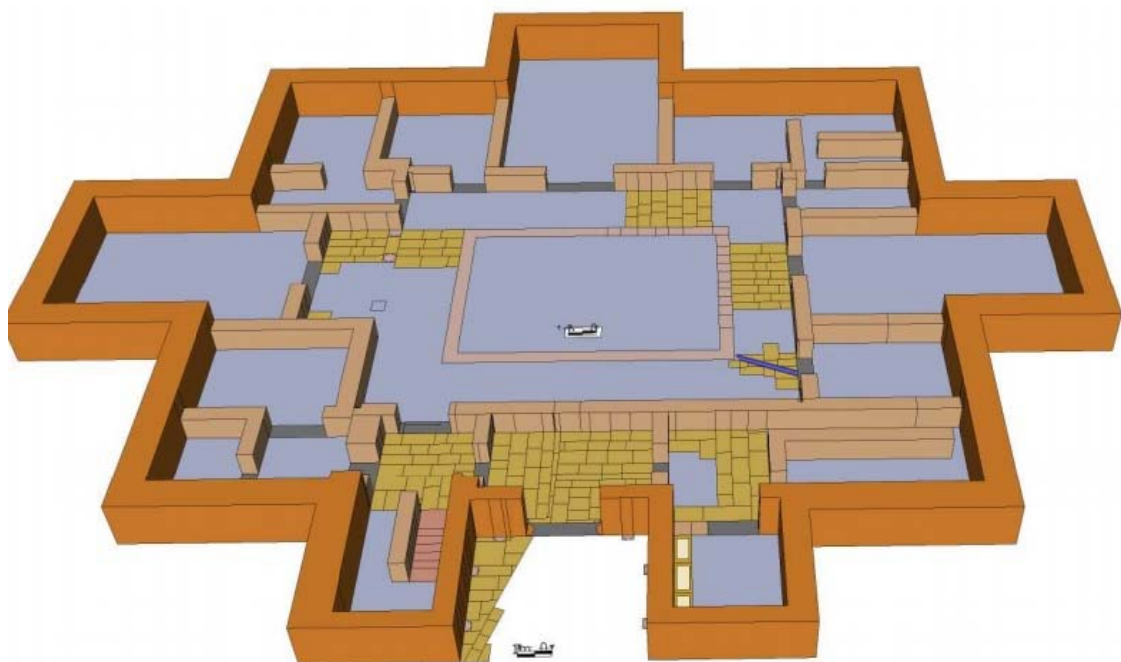
أعمال التنظيف على مستوى البوابة الرئيسية



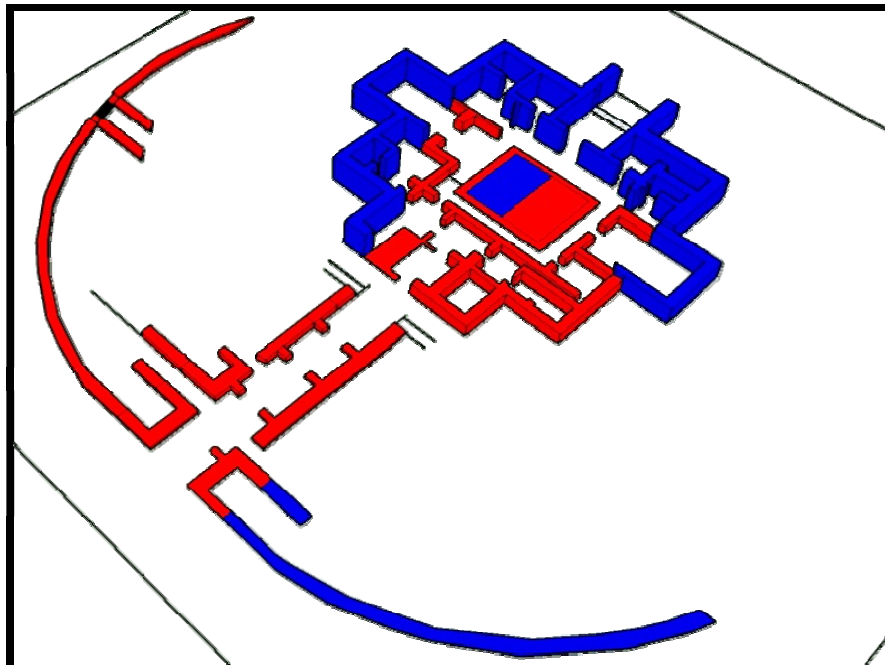
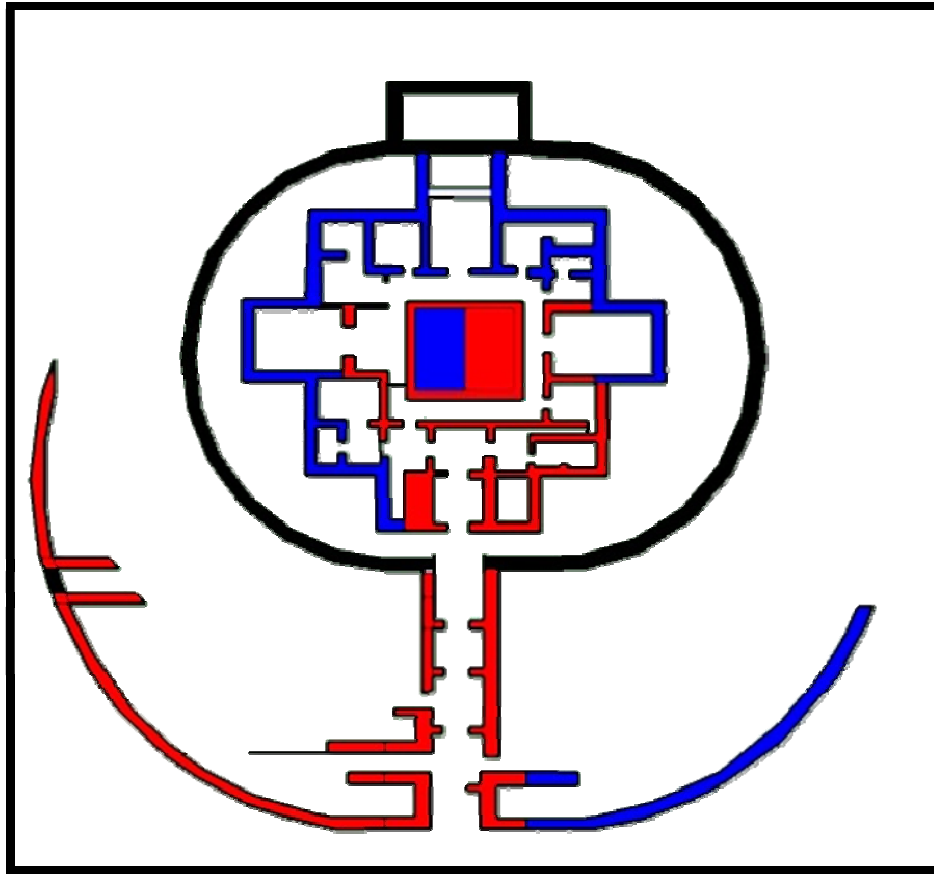
أعمال التقوية و التدعيم على مستوى البوابة الرئيسية



المخطط العام للبنية المدروسة السلم 100/1 . عن الباحثين



بعض المخططات التفصيلية لفضاءات البناية (البوابة و الفناء و التبليط) على التوالي .



المخطط العام اين تظهر الاعمال المنجزة باللون الاحمر و الاعمال المبرمجة لاحقا باللون الازرق .

- Gsell(S), Atlas Archéologique de L'Algérie, Tome 1, 2^{ème} édition, Algérie, 1997.
- Gsell(S), Les Monuments Antiques de L'Algérie, T, 1, édit ; librairie des écoles Françaises d'Athènes et de Rome(ENS), France.1901. -Laporte(J,P), Une maison-forte du IV Siècle, Le Ksar El Kaoua (Ammi-Moussa, Algerie), edit :presses universitaires de Caen.
- R.de la Blanchère, « Kaoua, Note sur les ruines romaines du territoire d'Ammi Moussa », Bulletin de correspondance africaine, I, 1882,
- Marchand ,« Occupation romaine dans la circonscription d'Ammi-Moussa », BSGAO, T.XV, 1895.
- Demaeght(L), « Notes géographiques, archéologiques et historiques sur la partie de la Maurétanie Césarienne correspondant à la province d'Oran » BSGAO, T VII, 1887.
- Lacave-Laplagne, « Ruines Romaines d'Ammi-Moussa », Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, T, XXXI, 1911.
- Adam (J-P), La construction romaine, matériaux et technique, 3^{ème} édit ; Quercy, France, 1995.
- Gros (pierre), l'architecture romaine, du début du III siècle av.j-c. à la fin du Haut-Empire, Edit ; Quercy, France, 2002.